الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

ورقة بحثية بعنوان:

العمل المسرحي ودوره في تنمية الوعي اللغوي والحفاظ على اللغة العربية

د. العربي الحضراوي

أستاذ محاضر - المدرسة العليا للأساتذة، جامعة القاضي عياض مراكش/المغرب-

l.elhadraoui@uca.ac.ma

ملخص:

تواجه اللغة العربية الفصحى تحديات متصاعدة في العصر الحديث، نتيجة انتشار اللهجات العامية، وتأثير اللغات الأجنبية، وتراجع استخدامها في الإعلام والتعليم والفنون. وبوصفها لغة القرآن الكريم وركيزة أساسية للهوية الثقافية العربية، تبرز الحاجة إلى آليات فاعلة للحفاظ عليها وتعزيز حضورها في الفضاء العام. في هذا السياق، يُعدّ المسرح العربي أحد الوسائل الفنية الحيوية القادرة على خدمة اللغة العربية الفصحى، لما يتمتع به من طابع تعبيري حيّ وتأثير مباشر في المتلقي. يسعى هذا البحث إلى دراسة الدور الذي يؤديه المسرح في نشر اللغة العربية الفصحى، خصوصًا بين الناشئة، وفي تعزيز استخدامها في الخطاب الثقافي والتعليمي. كما يستعرض البحث التحديات التي تعوق هذا الدور، ويقترح آليات لتفعيله وتطويره بالتكامل مع المؤسسات التعليمية والثقافية. ويستند البحث إلى تحليل نماذج مسرحية مختارة، ويطرح تصورًا لاستثمار الفن المسرحي في حماية الفصحى من التهميش والذوبان، وتحفيز الجمهور على تذوق جمالياتها اللغوية والأدبية.

الكلمات المفاتيح: اللغة العربية الفصحى، اللهجات العامية، التحديات اللغوية، تأثير اللغات الأجنبية، المسرح العربي، الهوية الثقافية، التعليم والفنون، الحفاظ على اللغة، اللغة في المسرح، التنشئة اللغوية، تذوق اللغة.

Abstract:

Modern Standard Arabic faces escalating challenges in the contemporary era due to the widespread use of vernacular dialects, the influence of foreign languages, and its declining presence in media, education, and the arts. As the language of the Holy Qur'an and a cornerstone of Arab cultural identity, there is an urgent need for effective strategies to preserve and promote its use in public discourse. In this context, Arabic theatre emerges as a vital artistic medium

capable of serving the Arabic language, thanks to its dynamic expressive nature and direct impact on audiences.

This study explores the role of theatre in disseminating and revitalizing Modern Standard Arabic, particularly among younger generations, and in reinforcing its use within cultural and educational contexts. It also examines the challenges hindering this role and proposes strategies to enhance and activate it in cooperation with educational and cultural institutions. Through the analysis of selected theatrical models, the research presents a vision for utilizing theatre as a tool to protect the Arabic language from marginalization and erosion, while encouraging audiences to appreciate its linguistic and literary beauty.

Keywords: Modern Standard Arabic, vernacular dialects, linguistic challenges, influence of foreign languages, Arabic theatre, cultural identity, education and the arts, language preservation, language in theatre, linguistic development, language appreciation.

مقدمة:

تُعدّ اللغة العربية الركيزة الأساسية للهوية الثقافية والحضارية في المجتمعات العربية، وتمثل جسرًا متينًا يربط بين الماضي والحاضر، وبين التراث والحداثة. فهي لغة القرآن الكريم، الذي يعدّ معجزة لغوية وأدبية يتداولها المسلمون في أنحاء العالم، كما أنها الوعاء الذي احتوى على أفكار ومعتقدات وفلسفات الإنسانية عبر قرون طويلة من التاريخ. وقد تميزت العربية الفصحى بقدرتها الفائقة على التعبير عن أدق المعاني وتنوعها، ما جعلها وسيلة فعالة في تبادل الفكر والأدب والعلم في مختلف العصور.

غير أنّ هذه اللغة العريقة تواجه في العصر الحديث تحديات متزايدة ومعقدة، من أبرزها انتشار اللهجات العامية التي أصبحت أكثر استخدامًا في الحياة اليومية، وتسلل التأثيرات الثقافية الأجنبية التي أثرت على لغة التخاطب والتعليم، ما أدى إلى تراجع استخدام الفصحى في مختلف مجالات الحياة العامة، بما في ذلك وسائل الإعلام، والتعليم، والفنون. كما أن وسائل التكنولوجيا الحديثة قد ساهمت في تزايد استخدام اللغات الأجنبية، مما أسهم في تهميش مكانة اللغة العربية الفصحى في بعض الأوساط، لاسيما في وسط الشباب.

في خضم هذه التحديات التي تهدد بقاء اللغة العربية الفصحى كأداة تواصل رئيسية، يبرز المسرح كأحد الفنون الفعالة القادرة على الإسهام في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى من خلال تقديمها بطريقة إبداعية ومؤثرة. فالمسرح لا يقتصر دوره على الترفيه والتسلية، بل يشكل وسيلة تعبير حية تجمع بين الفن والفكر، وتتيح الفرصة للمتلقي من مختلف الأعمار والخلفيات الثقافية للانخراط في تجربة لغوية عميقة. ومن

خلال استخدام اللغة العربية الفصحى على خشبة المسرح، يمكن تعزيز الوعي بجماليات اللغة وقيمتها الأدبية والفكرية، ما يسهم في تنمية حبّ اللغة وتعزيز استخدامها السليم.

وعلاوة على ذلك، يمثل المسرح منصة تعليمية وتربوية متكاملة، حيث يمكنه أن يساهم في تثقيف الجمهور حول أهمية الحفاظ على اللغة الفصحى، ويعزز من الوعي الثقافي واللغوي لدى الأجيال الناشئة. كما يمكن للمسرح أن يساهم في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول اللغة العربية، وتقديمها بصورة حديثة ومعاصرة، قادرة على مواكبة التحديات اللغوية الراهنة.

يركز هذا البحث على دراسة الدور الحيوي الذي يؤديه المسرح في نشر وترويج اللغة العربية الفصحى بين الناشئة والجمهور العام، من خلال استكشاف كيفية استخدام النصوص المسرحية في تعزيز اللغة، وتسليط الضوء على المبادرات المسرحية التي تسهم في الحفاظ على هذه اللغة المقدسة من الذوبان أو التهميش. كما يتناول البحث التحديات التي قد تواجه المسرح العربي في هذا المجال، ويستعرض الطرق التي يمكن من خلالها تطوير هذا الدور وتعزيزه في الحقلين التعليمي والثقافي. وسوف يتطرق البحث أيضًا إلى أهمية تكامل العمل المسرحي مع المؤسسات التعليمية والإعلامية لضمان نشر اللغة الفصحى وتفعيل دورها في المجتمع، مع طرح حلول مبتكرة لتوسيع نطاق تأثير المسرح في مواجهة التحديات اللغوية.

إشكالية البحث:

رغم ما يمتلكه المسرح من قدرات تعبيرية وتربوية تؤهله ليكون وسيلة فعالة في دعم اللغة العربية الفصحى، إلا أن استثماره في هذا المجال لا يزال محدودًا، بل إن بعض الأعمال المسرحية تميل إلى استخدام اللهجات العامية، مما قد يُضعف من قيمة الفصحى في أعين المتلقين، خاصة في أوساط الناشئة. كما يطرح غياب التخطيط المؤسسي والتربوي لدور المسرح في خدمة اللغة إشكالية حقيقية تتعلق بضعف توظيف هذا الفن لخدمة أهداف لغوية وثقافية واضحة.

وتتمثل الإشكالية الرئيسة في التساؤل التالي:

إلى أي مدى يسهم المسرح في نشر اللغة العربية الفصحى والحفاظ عليها، وما العوامل التي تعزز أو تعيق هذا الدور؟

أسئلة البحث:

1. ما الدور الذي يمكن أن يؤديه المسرح في نشر اللغة العربية الفصحى بين فئات المجتمع المختلفة؟
2. كيف يساهم المسرح في تعزيز الهوية اللغوية العربية والحفاظ على مكانة اللغة الفصحى في العصر الحديث؟
3. كيف يؤثر استخدام اللغة العربية الفصحى في المسرح على تطور المهارات اللغوية لدى الجمهور، خاصة لدى الأطفال؟
4. ما هي التحديات التي تواجه المسرح في استخدام اللغة العربية الفصحى في العروض المسرحية؟
5. ما هي المقترحات العملية لتفعيل دور المسرح في خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها في المؤسسات التعليمية والثقافية؟

أهمية البحث:

أهمية هذا البحث من خلال تسليطه الضوء على العلاقة الحيوية بين المسرح واللغة العربية، في ظل ما تواجهه الفصحى من تحديات معاصرة تهدد حضورها في الحياة اليومية والثقافية. ويأتي البحث ليبرز قيمة المسرح كأداة لغوية وتربوية يمكن توظيفها في نشر اللغة العربية الفصحى وتعزيز استخدامها بين فئات المجتمع المختلفة، لا سيما الشباب والطلاب.

كما تكمن أهمية البحث في أنه:

- يُبرز دور الفنون، لا سيما المسرح، في الحفاظ على الهوية اللغوية والثقافية.
- يلفت انتباه التربويين والمثقفين وصانعي القرار إلى الإمكانات التربوية واللغوية الكامنة في المسرح.
- يُسهم في تقديم مقترحات يمكن أن تفعل دور المسرح في المؤسسات التعليمية والثقافية لدعم اللغة العربية.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تتكامل فيما بينها لفهم وتقييم الدور الذي يمكن أن يؤديه المسرح في خدمة اللغة العربية، ومن أبرز هذه الأهداف:

1. تحليل الدور التربوي والثقافي للمسرح في نشر اللغة العربية الفصحى وتعزيز استخدامها في الحياة العامة.
2. رصد المظاهر الإيجابية لاستخدام الفصحى في الأعمال المسرحية، وتحديد مدى تأثيرها على المتلقي.
3. التعرّف على التحديات التي تواجه المسرح العربي في أداء دوره اللغوي، سواء كانت تربوية، مؤسساتية، أو فنية.
4. اقتراح آليات عملية لتعزيز حضور اللغة العربية الفصحى في الأعمال المسرحية، وخاصة في البيئات التعليمية والثقافية.
5. تسليط الضوء على أهمية إدماج المسرح في العملية التعليمية كأداة فاعلة لخدمة اللغة والهوية.

مصطلحات البحث:

- **المسرح:** شكل من أشكال التعبير الفني يعتمد على التمثيل الحي على خشبة المسرح أمام جمهور، ويتضمن نصوصًا مسرحية تهدف إلى إيصال رسالة ثقافية أو تربوية.
- **اللغة العربية الفصحى:** هي اللغة الرسمية الموحدة المستخدمة في الكتابة والأدب والإعلام والتعليم، وتتميز بأنها خالية من التغيرات اللهجية أو العامية.
- **الهوية اللغوية**: هي تمثيل المجتمع أو الأمة من خلال لغتها، التي تشكل جزءًا أساسيًا من ثقافتها وتاريخها ووجودها الاجتماعي.
- **النشر اللغوي**: يُقصد به نشر استخدام اللغة الفصحى في مختلف مجالات الحياة اليومية والثقافية والفنية، وخصوصًا في وسائل الإعلام والفنون.
- **العامية:** اللهجات المحلية التي تميز مناطق جغرافية معينة، وتختلف عن اللغة الفصحى في النحو والمفردات.

إسهامات المسرح في ترسيخ اللغة العربية الفصحى في المجتمع:

تُعتبر اللغة العربية الفصحى الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الهوية الثقافية والحضارية للعالم العربي، فهي ليست مجرد أداة تواصل لغوي بين الأفراد، بل تمثل وعاءً غنيًا للفكر والفلسفة والتراث، وحاملًا لموروث ديني عميق ومتجذر. إذ تتجسد الفصحى في النصوص الأدبية العريقة، والكتابات الدينية، والعلوم الإنسانية، مما يجعلها أكثر من مجرد لغة محكية، بل لغة تجمع بين الماضي العريق والحاضر المستمر. وبفضل مكانتها هذه، تظل اللغة العربية الفصحى رمزًا لوحدة الأمة العربية ومرآة لعراقتها الثقافية.

غير أن الواقع اللغوي المعاصر يشهد تحديات كبيرة تهدد حضور الفصحى في الحياة اليومية، إذ تتنافس اللهجات العامية المختلفة التي تتنوع باختلاف المناطق والدول، إضافة إلى التأثير المتزايد للغات الأجنبية، وخصوصًا في مجالات الإعلام والتعليم والإنترنت. هذه المتغيرات اللغوية أدت إلى تراجع استخدام الفصحى بشكل عملي في تواصل الناس، وباتت الفصحى في كثير من الأحيان مقتصرة على مجالات رسمية وتعليمية وأدبية فقط، مما يطرح تساؤلات جادة حول مستقبل اللغة وأدوارها في المجتمع.

في هذا السياق، يظهر المسرح كوسيلة فنية وتربوية بارزة لها القدرة على مواجهة هذا التحدي اللغوي والاجتماعي. فمنذ بداياته، لم يكن المسرح مجرد منصة للترفيه والتسلية، بل كان منبرًا ثقافيًا يسهم في نقل الرسائل الاجتماعية، والسياسية، والثقافية بلغة عربية فصحى متقنة، تجمع بين الجمال الفني والقيمة التعليمية **"يرى المدافعون عن استخدام اللغة العربية الفصحى في المسرح أنها اللغة الأنسب للتعبير عن مضامين أصيلة، لاسيما تلك المرتبطة بالتاريخ والتراث، لما تتمتع به من غنى دلالي وقدرة تعبيرية عالية. كما تُعد الفصحى أداة توحيد ثقافي، تتيح التواصل المسرحي بين مختلف بلدان الوطن العربي، باعتبارها اللغة المشتركة الكفيلة بتجاوز التعدد اللهجي وتيسير الفهم بين الجماهير".**[1] إن المسرح، بفضل حواراته الحية ونصوصه الأدبية، استطاع أن يكون جسرًا بين الفصحى والجمهور من مختلف الفئات العمرية والاجتماعية، حيث يجمع بين القدرة على إثارة المشاعر والفكر من جهة، وبين تعزيز القيم اللغوية والهوية من جهة أخرى.

---

[1]- شوقي ضيف (1984): لغة المسرح بني الفصحى والعامية، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد ماي، ص: 51.

علاوة على ذلك، يوفر المسرح فضاءً يعيد اللغة العربية الفصحى إلى سياقات حياتية أكثر قربًا من الجمهور، مما يسهم في تكوين علاقة تفاعلية بين المتلقي والنص المسرحي. فالنصوص المسرحية المكتوبة بلغة فصحى سليمة تقدم صورة حية وواقعية عن الفصحى المعاصرة، تسهم في ترسيخها كلغة حية قابلة للتداول والتجدد **"وتبقى مسألة اللغة في النص المسرحي ذات خصوصية متميزة عن بقية الأجناس الأدبية الأخرى بوصفها تتفاوت في نبرة الخطاب وبلاغته تبعا لطبيعة المتلقي والمستويات اللغوية والاجتماعية التي تحقق التواصل والتفاعل مع هذا المتلقي، وتبعا لقدرة الحوار المسرحي على صياغة الأفكار وإيصالها"**[2]. ومن هنا، يصبح المسرح مؤسسة اجتماعية تحمل على عاتقها مهمة الحفاظ على اللغة وترسيخها، من خلال تقديم محتوى فني يرتقي بالذوق اللغوي، ويدعم الهوية الثقافية، ويحفز على الاستخدام المتجدد للفصحى في مختلف طبقات المجتمع.

لذا، فإن دراسة إسهامات المسرح العربي في ترسيخ اللغة العربية الفصحى تتطلب التأمل في الأبعاد الفنية، واللغوية، والاجتماعية لهذا الفن، والتعرف على الطرق التي من خلالها يعيد المسرح تشكيل الوعي اللغوي، ويعمل كآلية فاعلة للحفاظ على اللغة وتعزيز مكانتها في عالم متغير، تتقاطع فيه الثقافة مع تحديات العولمة والتكنولوجيا الحديثة.

تتعدد أبعاد أهمية استخدام اللغة في المسرح، والتي يمكن فهمها من خلال مقاربة تنطلق من منظورين متكاملين: المنطلق العام الذي يرتبط باللغة العربية الفصحى، والمنطلق الخاص الذي ينتمي إلى البيئة المحلية ولهجاتها. يُعتبر هذان المنطلقان متكاملين، ولا يمكن تجاهل أحدهما في فهم الكيفية التي يتفاعل بها المسرح مع جمهوره، وكيفية تشكيله للوعي اللغوي والثقافي في المجتمع.

1. المنطلق العام: اللغة الفصحى كرمز للهوية والقومية

اللغة العربية الفصحى هي أكثر من مجرد لغة رسمية أو أداة تعبيرية في المسرح، فهي تحمل في طياتها بعدًا قوميًا عميقًا، يربط بين الشعوب العربية في وحدة ثقافية مشتركة تمتد عبر العصور. الفصحى هي الوسيلة التي ينقل من خلالها المسرح رسائله الكبرى والقيم الإنسانية الجامعة، التي تتجاوز الاختلافات

---

[2]- نفسه، ص: 51.

الجغرافية واللهجات المتعددة. من هذا المنطلق، تصبح اللغة الفصحى أداة توحيدية تضمن تواصلًا فعّالًا بين المسرح وجمهوره من مختلف الأقطار العربية، مما يدعم هوية عربية موحدة، ويحفظ التراث الفكري والحضاري للأمة. **"فاللغة لها ارتباط بالمسرحية حيث تشرئك فيها مفردات اللغة في البوح بالخطاب الذي تحمله الشخصية أو يحملها الكاتب إياها ليكون لها التغيير بعد التأثير لأنها ليست كائنا مستقلا، إمنا هي دلالة وعين للأشياء ومتغيراتها كعنصر أساسي في الاتصال بالجمهور"**[3].

ولأن المسرح فن يعتمد على الحوار والتفاعل المباشر مع الجمهور، فإن استخدام الفصحى يمنحه عمقًا فكريًا وجماليًا يمكنه من طرح قضايا إنسانية وثقافية بأسلوب راقٍ ومنمق، يحترم الذوق الفني للمشاهد ويعزز من مكانة المسرح كفضاء ثقافي راقٍ. كما أن اللغة الفصحى تفتح المجال أمام النص المسرحي لأن يكون قابلاً للانتقال بسهولة بين مختلف الدول والمجتمعات العربية، مما يوسع دائرة تأثيره الثقافي والفني.

2. المنطلق الخاص: اللهجات العامية كتعابير عن الخصوصية الإقليمية

على النقيض من ذلك، تمثل اللهجات العامية جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية والهوية المحلية لكل مجتمع. في المسرح، تعبر اللهجات العامية عن الواقع الإقليمي وتفاصيل الحياة الاجتماعية بشكل أكثر قربًا وواقعية من الفصحى. **"لذلك كان ضروريا البحث عن لغة مسرحية حقيقية، لغة تكون أكبر من اللفظ وأرحب من الأصوات والإشارات**[4]**. يلتزم فيها الكاتب بالأداة المستعملة الميسرة مع إمكانية المزاوجة بين الفصحى البسيطة المستعملة، والعامية القريبة من الفصحى وخاصة في المسرحيات النثرية"**[5]. لهذا تُستخدم العامية في النصوص المسرحية لتقديم الشخصيات والمواضيع بشكل يعكس طبيعة المجتمع، ويضفي على العرض المسرحي بعدًا إنسانيًا مباشرًا، مما يسهل على الجمهور الارتباط بالنص والتفاعل معه..

---

[3]- عصام محفوظ (1995): مسرحي والمسرح، بيروت، لبنان، دار العودة، ط1، ص: 37.

[4]- عبد الكريم برشيد (1985): حدود الكائن والممكن في المسرح الاحتفالي، المغرب، دار الثقافة الدار البيضاء، ط1، ص: 10.

[5]- أحمد علي عطية زلط (1999): مدخل إلى علوم المسرح، دراسة أدبية فنية مسرحية، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، ص: 149.

يُطرح في سياق النقاش اللغوي داخل المسرح العربي إشكال محوري يتمثل في مدى مشروعية الاعتماد على العامية كلغة أداء مسرحي، في مقابل اللغة العربية الفصحى، بوصفها الوعاء الرسمي للثقافة والهوية القومية. هذا التوتر اللغوي يعكس واقعًا اجتماعيًا وثقافيًا معقدًا، لا يمكن معالجته بإقصاء أحد الطرفين، بل يتطلب رؤية متوازنة تراعي الاعتبارات اللغوية والجمالية والتواصلية على حدٍّ سواء.

من جهة، تمثل اللهجات العامية أداة تعبيرية قريبة من الواقع اليومي للجمهور، وتمكّن المسرح من بناء علاقة وجدانية مباشرة مع المتلقي من خلال اللغة التي يفكر بها ويتفاعل عبرها في حياته اليومية. كما تمنح العامية النص المسرحي طابعًا واقعيًا ومرونة في الأداء، خصوصًا عند تناول قضايا اجتماعية محلية أو تقديم شخصيات من طبقات شعبية، ما يجعلها في كثير من الأحيان خيارًا ناجعًا لخلق المصداقية الدرامية وتيسير التفاعل الجماهيري.

غير أن الاعتماد الكامل على العامية، بمعزل عن الفصحى، يُنتج آثارًا سلبية متعددة الأوجه. فهو من جهة يُفضي إلى تهميش الفصحى وإبعادها عن الفضاء المسرحي الذي يُعد أحد أهم الوسائط الثقافية وأكثرها تأثيرًا. وهذا التهميش لا ينعكس فقط على المستوى الفني، بل يُساهم في إضعاف الحضور الثقافي للفصحى في المجال العام، ويقلل من فرص تعويد الجمهور على سماعها وفهمها واستخدامها خارج الإطار الأكاديمي أو الديني.

ومن جهة أخرى، يؤدي الانغلاق داخل المحلية اللهجية إلى تقليص الأفق القومي للمسرح العربي، ويحول دون تواصله الفعّال مع الجمهور في أقاليم عربية أخرى. فاللهجات تختلف بدرجات كبيرة بين الدول والمناطق، ولا تضمن دائمًا الفهم المتبادل، مما يُهدد الطابع الوحدوي الذي يمكن أن يضطلع به المسرح، بوصفه أداة ثقافية قادرة على تجاوز الحدود الجغرافية واللغوية الضيقة. في المقابل، تُعتبر الفصحى جسرًا مشتركًا للتواصل الثقافي، ولغة قادرة على توحيد الخطاب الفني المسرحي في مختلف أنحاء الوطن العربي، ما يعزز الانتماء إلى هوية لغوية واحدة.

لذلك، فإن التوازن بين الفصحى والعامية ليس مجرد خيار فني، بل هو ضرورة ثقافية وتربوية، تُمكِّن المسرح من أداء دوره المزدوج: من جهة، الحفاظ على الفصحى كمرتكز للهوية والمرجعية الثقافية، ومن جهة أخرى، توظيف العامية كوسيلة تواصل مباشر مع الجمهور المحلي. وهما نجد سعى **توفيق الحكيم**

إلى إيجاد صيغة لغوية وسطى تُوفق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية، فجاءت محاولته المعروفة بـ"اللغة الثالثة"، وهو المصطلح الذي أطلقه بنفسه وتبناه العديد من النقاد من بعده. وقد عبّر الحكيم عن خلفيات هذه التجربة في مقدمة مسرحيته الصفقة، مشيرًا إلى أن قضية اللغة المسرحية الملائمة كانت ولا تزال محل جدل واسع، لا سيما في المسرح المحلي، حيث تتنازع الفصحى والعامية على شرعية الاستخدام.

وقد أوضح الحكيم أنه سبق له أن خاض هذه الإشكالية عمليًا، من خلال تجربتين متباينتين في البيئة الريفية المصرية: **"الأولى تمثلت في مسرحية الزمار التي كتبها بالعامية، والثانية في مسرحية أغنية الموت التي صاغها بالفصحى"**.[6] إلا أن هذه التجربة لم تفضِ، في نظره، إلى حل نهائي للمشكلة؛ فبينما تضمن الفصحى مقروئية النص وقبوله الأدبي، فإنها تطرح إشكالات عند تمثيله على الخشبة، نظرًا لبُعدها عن اللغة اليومية المنطوقة، ما يجعل الأداء التمثيلي للفصحى في سياق واقعي يتطلب نوعًا من "الترجمة" إلى لسان يمكن أن يتوافق مع الشخصيات وظروفها. هذا التوازن يتطلب كفاءة عالية في صياغة النص المسرحي، بحيث تُوظف الفصحى في السياقات التي تتطلب رسمًا فكريًا أو جماليًا عميقًا، بينما تُستخدم العامية في المقاطع التي تتطلب عفوية وواقعية، دون أن يؤدي ذلك إلى تفكك النص أو تشظي الخطاب.

وفي ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يشهدها العالم العربي اليوم، تزداد الحاجة إلى مسرح يُدرك تعدد مستويات اللغة داخل المجتمع، ويعمل على دمجها دون تناقض، بما يحفظ للفصحى مكانتها الرمزية والمعرفية، ويُبقي للعامية دورها الوظيفي التعبيري. فالفصحى تمثل الذاكرة الثقافية المشتركة، والعامية تمثل نبض الحياة اليومية؛ والمسرح، باعتباره فنًا يقوم على الحياة واللغة معًا، يجب أن يظل الحقل الأمثل للمزاوجة الخلّاقة بينهما.

3. اللغة كرموز وإشارات معنوية: تحويل اللغة إلى علامات ثقافية

إنّ اختزال اللغة المسرحية في بعدها الصوتي أو في كونها مجرد وسيلة لفظية للتخاطب لا يفي بالغرض الجمالي والوظيفي الذي تنهض به داخل العرض المسرحي. فاللغة في المسرح تتجاوز حدود النطق والتلفظ، لتتحول إلى منظومة رمزية معقدة تتداخل فيها الدلالة اللغوية مع السياقات الثقافية والاجتماعية

[6]- توفيق الحكيم (1988): الصفقة، مصر، مكتبة مصر، ص: 156.

والنفسية، ما يجعل المسرح فضاءً تعبيريًا بالغ العمق، يقوم على تفعيل الذاكرة الجمعية للمجتمع، ويستثمر رموزه التراثية والدينية والتاريخية والفكرية في توليد المعنى وإثارة التفاعل.

فاللغة المسرحية لا تُستخدم لنقل المعلومات فحسب، بل تؤدي وظيفة التكثيف الرمزي، حيث تتحول الكلمات إلى إشارات ثقافية مشبعة بالمعنى، تفتح أفقًا تأويليًا لدى المتلقي الذي يقرأ النص، لا عبر ما يُقال فقط، بل من خلال ما يُستدعى ذهنيًا ووجدانيًا. فعندما يُذكر على سبيل المثال "عنترة بن شداد"، فإن المقصود ليس استحضار شخصية جاهلية بعينها، بل توظيف رمز بطوليٍّ جامع يحمل في طيّاته قيَمًا متأصلة في الوجدان العربي مثل الشجاعة، الفروسية، الكرامة، والتحدي. وهذا التوظيف يُعد شكلًا من الاقتصاد الدلالي، حيث تُحيل علامة لغوية واحدة إلى شبكة من المعاني دون الحاجة إلى شرح مطول.

وفي السياق المسرحي العربي، تكتسب هذه الرموز قوة استثنائية لأنها تنبع من مشترك ثقافي متجذر، فتغدو اللغة محمّلة بخلفيات حضارية وقيمية تُمكّن المتلقي من التفاعل الوجداني والمعرفي مع النص، حتى وإن لم يكن منخرطًا في التحليل العقلي المباشر. فالمتلقي يتجاوب مع هذه الرموز لأن المسرح يقدّمها في سياق أدائي حي، يدفع إلى تأويلها شعوريًا من خلال الأداء الجسدي، والإيقاع الصوتي، والتشكيل البصري للمشهد.

من هنا، يصبح المسرح العربي فضاءً لإعادة تنشيط الرموز اللغوية والثقافية، عبر إعادة توظيفها في قوالب فنية معاصرة. واللغة الفصحى، في هذا الإطار، لا تُستخدم فقط لأنها اللغة "الصحيحة"، بل لأنها اللغة الأكثر قدرة على حمل الرموز الكبرى، وإعادة توجيهها في سياق جمالي متماسك. فهي لغة النصوص التراثية، والسرديات التاريخية، والخطاب الديني، ما يمنحها سلطة رمزية مضاعفة حين تُوظف في مشهد مسرحي معاصر.

وتنعكس هذه الرمزية اللغوية أيضًا في الإشارات إلى قضايا اجتماعية أو مفاهيم إنسانية كالوطن، العدالة، القهر، الحرية... إذ يتم توظيف اللغة لا لتوصيل الفكرة بصورة مباشرة، بل لإثارة أفق دلالي واسع لدى المتلقي، يُعزز من وظيفة المسرح كأداة تفكير جماعي وتأمل في الذات والواقع. وهذا ما يجعل المسرح أكثر من مجرد أداء لفظي أو درامي؛ إنه عملية رمزية تربط بين اللغة والهوية والذاكرة، وتُسهم في ترسيخ القيم الثقافية عبر التجربة الجمالية.

إنّ هذه الطبيعة الرمزية المعقدة للغة في المسرح تجعلها عنصرًا محوريًا في التنشئة الثقافية واللغوية، وخاصة حين يتلقاها المتعلم أو الطفل، إذ تفتح أمامه أبوابًا لفهم ذاته ولغته وتاريخه، بأسلوب لا يعتمد على التلقين، بل على الاستبطان والمشاركة الوجدانية. وبالتالي، فإن التفاعل مع الفصحى في هذا السياق الرمزي يدعم حضورها في الوعي اللغوي، ويمنحها بعدًا ثقافيًا ووجدانيًا لا يتحقق في السياقات التعليمية الجافة.

4. اللغة والمسرح: جدلية أزلية بين التقاليد والتجديد

تُعد قضية اللغة في المسرح من القضايا المركزية والأزلية التي لا تنفصل عن جوهر هذا الفن في أي مرحلة من مراحله، إذ إن المسرح، في بنيته الأساسية، هو فعل لغوي بامتياز، يقوم على الحوار والتجاذب الفكري بين الشخصيات من جهة، وبين العرض والجمهور من جهة أخرى. هذا التفاعل لا يُبنى على مجرد تبادل الكلام، بل على منظومة لغوية حية تُحرّك الصراع الدرامي، وتبني المعنى، وتُفعّل التلقي. من هنا، تكتسب اللغة في المسرح أهمية تتجاوز حدود النطق والأداء، لتتحول إلى وسيط جوهري للتمثيل والتأثير، يحمل في طيّاته طاقات دلالية وثقافية، ويُسهم في تشكيل وعي الجمهور وإثراء ذائقته الجمالية.

وفي السياق العربي، تتضاعف حساسية اختيار اللغة المسرحية نتيجة التوتر القائم بين الفصحى والعامية، حيث يُنظر إلى اللغة العربية الفصحى بوصفها الوعاء الحضاري للهوية، ومصدرًا لقيم ثقافية موحدة عبر الوطن العربي، بينما تُعَدّ العامية أداة للتواصل المباشر، تمتاز بالقرب من الواقع والقدرة على تمثيل الحياة اليومية. وفي خضم هذا الجدل، يبرز التحدي الأساسي المتمثل في كيفية الحفاظ على أصالة الفصحى من جهة، مع إدخال عناصر حداثية تجعلها قابلة للتجدد ومواكبة للتحولات الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى.

لا يمكن للمسرح أن يتعامل مع اللغة بوصفها كيانًا ساكنًا أو وسيلة نمطية للتعبير، بل ينبغي أن يُدرك أنها بنية حية، تتطور مع تطور المجتمعات، وتعكس ديناميكيتها المتغيرة. فالفصحى في المسرح لا ينبغي أن تُستحضر فقط بوصفها نموذجًا كلاسيكيًا، بل يجب أن يُعاد تشكيلها لتكون قادرة على استيعاب قضايا الإنسان المعاصر، والتعبير عن انفعالاته، وتحفيز وعيه. وهنا يتجلّى دور المسرح كمؤسسة ثقافية

متجددة، تُسهم في الحفاظ على اللغة العربية من جهة، وفي تجديدها وإعادة تأهيلها للاستخدام الحيوي من جهة أخرى.

المسرح، بهذا المعنى، لا يُعيد إنتاج اللغة كما هي، بل يُعيد تشكيلها وفق مقتضيات الفعل الدرامي، وما يتطلبه من تكثيف رمزي، وتعدد نغمي، ومرونة في التعبير. وهو في هذا الدور يتجاوز الأبعاد التعليمية أو التربوية التقليدية، ليصبح مختبرًا لتوليد أشكال لغوية جديدة، تُزاوج بين فصاحة التعبير وواقعية التوصيل، وبين عمق المعنى وسلاسة الأداء. ومن ثمّ، فإن المسرح الجيد هو الذي ينجح في إعادة إدماج الفصحى في الوعي الجمعي لا بوصفها لغة محفوظة، بل بوصفها أداة تواصل معاصرة، ووسيطًا جماليًا فعّالًا قادرًا على ملامسة الواقع دون أن يفقد صلته بالتراث.

وهكذا، فإن أهمية اللغة في المسرح العربي لا تكمن فقط في طبيعتها اللفظية، بل في قدرتها على حمل الرموز، وتفعيل الذاكرة، واستثارة الأبعاد الثقافية العميقة. إنها لغة تُعبّر وتُجسّد، تُعلّم وتُثير، تحافظ وتُجدّد، وهو ما يجعل من المسرح مجالًا مثاليًا للحفاظ على الفصحى وتنميتها، بعيدًا عن الجمود والانغلاق، وفي قلب الحركة الثقافية والحوار المجتمعي الحي.

مسرح الطفل كأداة تربوية لتعزيز المهارات اللغوية في المراحل المبكرة

يُعد مسرح الطفل من أكثر الوسائط التربوية شمولًا وتأثيرًا في العملية التعليمية، وذلك لما يتميز به من قدرة على الدمج بين الترفيه والتعليم في بيئة تفاعلية دينامية **"يتضمن مسرح الأطفال- كمصطلح- معنى عاما، شاملا، يمارس على المتأمل فيه حالة من الإيهام -الخداع-شبه المطلق- ومن دون تمحيص شيئا يهم الأطفال من دون غيرهم"**[7]. فالمسرح ليس مجرد وسيلة عرض جمالي، بل هو أداة تنشئة ثقافية ومعرفية تُفعِّل الحواس، وتنمّي القدرات، وتُسهم بشكل مباشر في صياغة شخصية الطفل وتطوير ملكاته، خاصة المهارات اللغوية التي تُعد أساسًا لكل أشكال التعلم اللاحق.

[7]- العواني محمد بري (2013): دراسات في أدب ومسرح الطفل، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص: 157.

إن ما يميز المسرح عن غيره من الوسائط التعليمية هو طبيعته متعددة الأبعاد؛ فهو وسيلة تربوية بامتياز، نظرًا لما يوفره من محتوى معرفي وأخلاقي موجّه، يسهم في ترسيخ القيم والسلوكيات الإيجابية بطريقة غير مباشرة وجذابة. كما أنه أداة تعليمية فعالة، لأنه يقدم المعرفة من خلال التفاعل والمشاركة وليس عبر التلقين المجرد، مما يجعل الطفل جزءًا حيًا من التجربة، لا متلقيًا سلبيًا. وفوق ذلك، فإن المسرح يمثل وسيلة ترفيهية راقية، توفر للطفل لحظات من المتعة المشروطة بالقيمة، ما يعزز ارتباطه بالتعلم ويزيد من قابليته لاكتساب اللغة. **" فالأطفال يتفاعلون مع الأحداث المرئية في المسرح أكثر من تفاعلهم مع الحوار المسرحي، وهذا يوجب التوازي بين ما يتراءى أمام أعين الأطفال وبين ما يتناهى إلى أسماعهم وأن لا يكون الاهتمام بجانب واحد على جانب آخر. وطبيعة المسرح لا تتيح لجمهور الأطفال فرصا لملاحقة المعاني والتعابير، وهذا يقضي أن تخلو لغة المسرح من كل تعقيد أو استطراد أو غموض، وأن تكون معبرة ومركزة"**[8].

يخاطب المسرح أكثر من حاسة في آن واحد؛ فالعين ترى، والأذن تسمع، والعقل يُحلل، والجسد يتحرك، والخيال يُستثار **"ثبت علميا بأن التعليم عن طريق الوسائل الحسية، والبصرية؛ أجدى وأكثر استيعابا من قبل التلاميذ، ويمكن من خلال هذه العملية تحقيق أهداف تربوية، وتعليمية، واجتماعية، ونفسية في شخصية المؤدي والمتلقي على السواء"**[9]. هذا التعدد الحسي يؤدي إلى تعزيز الفهم وتثبيت المعلومة بطريقة فعالة، خاصة عند الطفل الذي يتعلم في المراحل المبكرة من خلال الحركة والصورة والصوت أكثر من النصوص المجردة. هنا تبرز قوة المسرح في تنمية المهارات اللغوية، إذ يتعرض الطفل لمفردات جديدة، وتراكيب لغوية سليمة، ونطق فصيح، في سياق تعبيري حي يجعل اللغة أكثر قربًا وارتباطًا بالحياة الواقعية.

---

[8]- أبو الحسن سالم (2004): مسرح الطفل (النظرية -مصادر الثقافة-فنون النص-فنون العرض)، ط1، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص: 41.

[9]- عبد الرزاق أسعد، كرومي عوني (1980): طرق تدريس التمثيل. بغداد، العراق، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ص:54.

علاوة على ذلك، يتيح المسرح للطفل فرصًا فريدة لتطوير مهارات التحدث والتعبير، من خلال المشاركة في الأداء أو حتى في المشاهدة النشطة. فالمسرح يشجع الطفل على التفاعل اللفظي، والتعبير عن الأفكار، والإجابة على الأسئلة، والمشاركة في النقاش، وكلها أنشطة تدعم الكفاءة اللغوية وتُكسب الطفل الثقة في استخدام اللغة بجرأة ووضوح. كما أن تكرار الاستماع للفصحى المستخدمة في سياق درامي يجعلها مألوفة ومرغوبة، ما يُحدث فرقًا نوعيًا في تطور الطفل اللغوي مقارنة بالتعلم التقليدي. وعليه ف **"اللغة السلسة المعبرة تنفذ إلى ذهن الطفل بيسر دون أن تبعث في نفسه الملل أو الإرهاق أو تجره إلى الشرود الذهني، والحوار الطويل يبدو أمام الأطفال أشبه ما يكون بالواعظ والخطب والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها فتموت الحياة على المسرح ومن ثمة لا يصدقها الطفل"**[10].

ولا يقتصر دور المسرح على الجانب اللغوي فقط، بل يمتد إلى بناء الشخصية، إذ يُكسب الطفل مهارات التواصل الاجتماعي، والقدرة على العمل ضمن فريق، ومهارات الأداء أمام الجمهور، وهي كلها عناصر تسهم في تعزيز الثقة بالنفس وتشكيل شخصية متوازنة. كما يوفّر المسرح مجالًا لتفريغ المشاعر والانفعالات بطرق إبداعية، ويفتح باب الخيال والابتكار، وهو ما يُعد جزءًا جوهريًا في التنمية الشاملة للطفل.

في ضوء كل ما سبق، يُمكن القول إن مسرح الطفل يمثل فضاءً متكاملًا لتنمية القدرات اللغوية والعقلية والاجتماعية والنفسية، وهو ما يجعله ضرورة تربوية وليس مجرد نشاط ثقافي ترفيهي. وبهذا المعنى، فإن الاستثمار في مسرح الطفل يُعد استثمارًا استراتيجيًا في مستقبل التعليم واللغة والثقافة، ويجب أن يحظى بدعم المؤسسات التعليمية والثقافية على حد سواء. **"يرى التربويون أن تحويل المناهج الدراسية من سياقها الجامد التقريري؛ إلى بنية جمالية ناطقة متحركة في قالب مسرحي مشوق، مع إعطاء الطالب فرصة المشاركة والتواصل؛ سيزيد من قدرتهم على التحصيل العلمي لهذه المواد المسرحة، فالكلمة المؤداة تمثيلا، والمعايشة لها في مجتمع الأطفال تقوي الرابطة بينها، وبين معناها لغويا، كما ييسر على**

[10]- نفسه، ص: 41.

المتعلمين الفهم، والاستيعاب بسهولة التذكر النابعة من الشكل الدرامي الممتزج بين المعلومة المسموعة، والمتعة البصرية الجمالية"[11].

إن **"مسرحة المناهج"**[12] تُعد من الاتجاهات التربوية الحديثة التي تسعى إلى إعادة صياغة المحتوى التعليمي في قوالب فنية تعتمد على الدراما والمسرح، وذلك بهدف تعزيز التفاعل النشط، وتنمية المهارات المختلفة، وتسهيل الفهم والاستيعاب لدى المتعلمين. وتكتسب مسرحة مناهج اللغة العربية أهمية خاصة، لكونها تتعامل مع لغة الأم بوصفها أداة للتفكير والتعبير وبناء الهوية، ما يجعل استخدامها في قالب مسرحي تفاعلي مسألة ذات أثر بالغ في البناء اللغوي والمعرفي للتلميذ.

غير أن تحويل المنهج إلى عمل مسرحي ليس عملية عشوائية أو تلقائية، بل هو نشاط تربوي وفني معقّد، يخضع لمجموعة من الشروط والمعايير التي تضمن تحقيقه لأهدافه التربوية واللغوية والوجدانية. وفيما يلي أبرز هذه المعايير، مع توضيح خلفيتها النظرية والتربوية:

1. الملاءمة التربوية للنص المسرحي

يُشترط في مسرحة المناهج أن يكون المحتوى المختار ملائمًا للمرحلة العمرية للمتعلمين، من حيث المفردات المستخدمة، وتركيب الجمل، والأفكار المطروحة، والقيم المتضمنة في النص. فالنص المسرحي الموجه لتلميذ المرحلة الابتدائية، مثلًا، يجب أن يُراعي النمو المعرفي والوجداني واللغوي لهذه الفئة، بحيث يكون بسيطًا في تراكيبه، غنيًا بمفرداته، واضحًا في رسالته، دون أن يفقد قيمته الجمالية أو الفكرية. إن تجاوز هذا الشرط يُعرض النص لخطر الانفصال عن المتلقي، ويجعل المسرحة عملاً فنيًا معزولًا لا صلة له بالواقع التربوي.

2. الانسجام مع الأهداف التعليمية للمادة

---

[11]- فاطمة يوسف (2006): مسرحة المناهج، الإسكندرية، مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، ص: 16.

[12]- عبد العزيز محمد السريع، تحسين إبراهيم بدير (1993): المسرح المدرسي في دول الخليج العربي- الواقع وسبل التطوير-، الرياض، السعودية، مكتب التربية العربية لدول الخليج، ص: 14.

يجب أن تظل مسرحة المنهج أداة داعمة لتحقيق الأهداف التربوية لمادة اللغة العربية، لا بديلًا عنها. بمعنى أن المسرحية، وإن كانت تحمل طابعًا فنيًا إبداعيًا، يجب أن تُوظف بشكل يخدم أهداف المنهج، سواء في تنمية المهارات اللغوية الأربع (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة)، أو في ترسيخ قواعد النحو والإملاء، أو في تعميق الفهم القرائي والنقدي للنصوص الأدبية. إن غياب هذا التوجيه التربوي يجعل المسرحة أقرب إلى الترفيه الخالص منها إلى التعلم النشط.

3. السلامة اللغوية ووضوح المعجم

ينبغي للنص المسرحي المأخوذ من المنهج أن يكون سليمًا لغويًا من حيث النحو، والصرف، والإملاء، والأساليب. كما ينبغي أن يُقدَّم بلغة فصيحة، قريبة من المستوى التداولي للتلميذ، دون أن تكون معقدة أو جامدة. فالمسرحة هنا تُعد مناسبة ذهبية لتقديم الفصحى في قالب حي وتفاعلي، يجعل الطفل يحب اللغة ويتقن استخدامها بعيدًا عن الجمود المدرسي التقليدي. أي أنها **"قناة تصل التلميذ بالعالم الخارجي، وتعد الكلمة المنطوقة فيها عنصرا فعالا وأساسا لنقل الموروث الثقافي"**[13]. كما يُستحسن إدخال بعض المفردات الجديدة بشكل تدريجي داخل سياقات مألوفة، ما يعزز من بناء الحصيلة اللغوية للمتعلمين.

4. التكامل بين البعد الفني والبعد التعليمي

لا تكتمل مسرحة المنهج إلا بتحقيق نوع من التوازن الدقيق بين الجمال الفني والفائدة التربوية. فالنص المسرحي، وإن كان تعليميًا في مضمونه، ينبغي أن يلتزم بالمعايير الفنية الأساسية كالحبكة الدرامية، وتسلسل الأحداث، ووضوح الشخصيات، وجودة الحوار. هذا التكامل يُكسب العرض المسرحي جاذبيته ويجعل المتعلم مشدودًا إليه ذهنيًا وعاطفيًا، مما يرفع من مستوى التلقي والاستيعاب.

5. اعتماد الأسلوب التفاعلي لا التلقيني

من شروط المسرحة الفاعلة أن تعتمد على مشاركة المتعلم في العملية المسرحية، سواء كممثل، أو كمُشاهد نشط. فالمسرح في جوهره ليس مجرد عرض أمام جمهور سلبي، بل هو فضاء للحوار، والنقاش،

---

[13]- راتب قاسم عاشور، محمد فخري مقدادي (2013): المهارات القرائية والكتابية طرائق تدريسها واستراتيجياتها، ط2، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص: 105.

والمحاكاة، والتقمّص، وهي جميعها أنشطة تُعزز من المهارات اللغوية والاجتماعية والنفسية. ومن هنا، فإن مسرحة المناهج يجب أن تقوم على مبادئ التعلم النشط والتعلم بالاكتشاف، وتُراعي حاجات المتعلمين للتعبير، والحركة، والتفكير النقدي.

6. التركيز على القيم الثقافية والوجدانية

إلى جانب البُعد المعرفي، ينبغي أن تحمل المسرحة بعدًا قيميًا يُسهم في تنمية الذوق الجمالي، وترسيخ القيم الأخلاقية والوطنية، وتنمية الخيال الإبداعي. وهذا يجعل من النصوص المسرحية أداةً لتربية الذائقة اللغوية والأدبية، إلى جانب تنمية الانتماء الثقافي، خاصة في زمن تراجعت فيه الفصحى لصالح اللهجات واللغات الأجنبية في الفضاء العام. ومن هنا تتجلى أهمية المسرحة بوصفها مشروعًا تربويًا متكاملًا يتجاوز حدود المادة الدراسية.

7. قابلية التطبيق داخل الصفوف المدرسية

وأخيرًا، يجب أن تكون المسرحية قابلة للتنفيذ ضمن إمكانات المدرسة الواقعية من حيث الوقت، والعدد، والموارد. فالسيناريو الجيد هو الذي يمكن تمثيله من قبل التلاميذ أنفسهم، في بيئة مدرسية بسيطة، دون الحاجة إلى تجهيزات مسرحية معقدة. كما يجب أن يُراعى في توزيع الأدوار مبدأ الشمولية، ليحظى أكبر عدد ممكن من المتعلمين بفرص الأداء والتجريب، مما يعزز من الشعور بالثقة، والانخراط، والتعاون.

إن مسرحة مناهج اللغة العربية ليست مجرد أسلوب تعليمي بديل، بل هي خيار استراتيجي لتجديد طرائق تدريس اللغة، وتحفيز المتعلمين على التفاعل مع المحتوى اللغوي بشكل حي وفاعل. ولتحقيق الجدوى الحقيقية من هذا التوجه، لا بد من الالتزام بشروطه ومعاييره الدقيقة، التي تضمن التكامل بين الوظيفة التربوية، والفعالية اللغوية، والجاذبية الفنية. وعليه، فإن الاستثمار في هذا التوجه يستدعي تعاونًا بين المربين، والمسرحيين، ومطوري المناهج، لضمان تقديم نموذج تعليمي فني متكامل يليق بلغة الضاد ومستقبل أبنائها.

تحديات توظيف اللغة العربية الفصحى في العروض المسرحية:

تشكل اللغة العربية الفصحى أحد أبرز مقومات الهوية الثقافية والحضارية في الوطن العربي، وهي ليست مجرد وسيلة للتخاطب، بل تمثل مخزونًا رمزيًا غنيًا بقيم الفكر والدين والتاريخ. ومن هذا المنطلق، يحظى حضورها في الفنون، وفي مقدمتها المسرح، بأهمية خاصة، كون المسرح وسيلة تعبير جماعية تُخاطب الوعي والوجدان في آنٍ واحد. ومع ذلك، فإن توظيف الفصحى في العروض المسرحية لا يخلو من تحديات وصعوبات ذات طابع لغوي، وجمالي، وتواصلي، تؤثر في إمكانية دمجها بسلاسة داخل البنية المسرحية الحديثة، خاصة في ظل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية الراهنة، وتنوع أنماط الجمهور.

تتمثل التحديات الأساسية في البُعد التواصلي للغة، حيث يواجه المسرحيون إشكالية تتعلق بمدى قدرة الفصحى على الوصول إلى جمهور واسع، يتفاوت في مستوى تعليمه وتكوينه اللغوي. فاللغة العربية الفصحى، وإن كانت مفهومة من حيث الأساس النحوي، إلا أن تلقيها في سياق درامي يتطلب درجة معينة من الاستعداد اللغوي والثقافي، لا تتوفر دومًا لدى جميع فئات الجمهور، خاصة مع تراجع استخدامها في الحياة اليومية، وتنامي حضور اللهجات العامية واللغات الأجنبية في الفضاءات الإعلامية والتعليمية والاجتماعية.

من جهة أخرى، تفرض الفصحى تحديًا على مستوى الأداء المسرحي. فهي لغة فنية بطبيعتها، مشبعة بجماليات الصياغة وبلاغة التركيب، لكنها في الوقت نفسه قد تخلق مسافة بين الشخصية المسرحية وواقعها الاجتماعي، إذا ما أُسقطت على السياق دون معالجة فنية دقيقة. فالمفارقة بين شخصية تنتمي إلى بيئة شعبية أو معاصرة، ولغة تنتمي إلى طبقة لغوية عليا، قد تفضي إلى تنافر درامي، يُضعف من مصداقية التمثيل. وبالتالي، يصبح على المخرج والممثل أن يجتهدوا في تطويع الفصحى، وتحويلها إلى لغة حية قابلة للتجسيد، من خلال الأداء الجسدي، والإيقاع الصوتي، وتفعيل البعد الرمزي في النص.

أما على المستوى النصي والدرامي، فإن كتابة نص مسرحي بالفصحى تطرح إشكاليات فنية تتعلق بالتوازن بين الجمالية والأسلوبية من جهة، والواقعية والتوصيل من جهة أخرى. إذ يتطلب الأمر كاتبًا متمكنًا من أدوات اللغة، قادرًا على منح النص بُعدًا تعبيريًا عميقًا من دون الوقوع في الإنشاء الخطابي أو الفصاحة المتكلفة. وهنا تبرز أهمية ما يُعرف بـ"اللغة الثالثة" التي حاول بعض الرواد، **كـتوفيق الحكيم**، تطويرها لتكون وسطًا تعبيريًا بين الفصحى الصرفة والعامية، تُحقق التوازن بين أصالة اللغة وسهولة التلقي.

كما يرتبط هذا التحدي بسؤال التربية الجمالية واللغوية للجمهور. فإذا كان الهدف من توظيف الفصحى في المسرح هو تعزيز حضورها في الوعي العام، فإن ذلك يقتضي مقاربة شمولية لا تنحصر في العرض المسرحي، بل تشمل أيضًا دعم الفصحى في المدرسة، وفي الإعلام، وفي الفضاء العام. فالمسرح وحده لا يمكنه أن يعيد للفصحى مكانتها دون وجود بيئة لغوية داعمة، تحترم اللغة وتُكرّسها في مختلف الأنشطة الثقافية والتربوية.

علاوة على ذلك، يواجه المسرح تحديًا يتعلق بسياق العولمة الثقافية، الذي يروّج لأنماط تعبيرية سريعة، تعتمد على الصورة والمشهدية، وتُقلل من مركزية اللغة. في هذا السياق، يصبح من الصعب فرض لغة ذات حمولة معرفية عميقة كالفصحى على جمهور أصبح أقرب إلى الاستهلاك السريع للمحتوى. وهذا لا يعني التخلي عن الفصحى، بل يتطلب من المسرح العربي أن يُعيد صياغة العلاقة مع اللغة من منظور جمالي جديد، يستثمر خصائص المسرح البصرية، والموسيقية، والرمزية، لجعل الفصحى جزءًا عضويًا من المشهد، لا عنصرًا نافرًا فيه.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه التحديات، على صعوبتها، لا تلغي وجود تجارب مسرحية عربية ناجحة استطاعت أن تُوظف الفصحى بشكل فعّال، وأن تجعلها لغة قادرة على التعبير عن القضايا المعاصرة من دون انفصال عن المتلقي. فمسرحيات **أحمد شوقي**، و**سعد الله ونوس**، و**علي أحمد باكثير**، وغيرهم من رموز المسرح العربي، تقدم نماذج مهمة لكيفية تجديد الفصحى داخل الفضاء الدرامي. هذا الأخير -**علي أحمد باكثير-** الذي فضل استخدام اللغة الفصحى في كتاباته، حتى عند مناقشته للموضوعات الاجتماعية، وذلك رغم إدراكه العميق للصعوبات التي يواجهها الكاتب المسرحي والأديب بشكل عام. فهو يعلم أن الكاتب مطالب بأن يكتب بلغة أدبية مصقولة ومتقنة، وفي الوقت نفسه يجب أن تكون هذه اللغة واقعية وتعكس التنوع والتفاوت في مستويات شخصيات مسرحياته، ليتمكن بذلك من الجمع بين الجمالية الفنية والواقعية الاجتماعية[14]

[14]- علي أحمد باكثير (1984): المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مصر، مكتبة مصر، ص: 76.

في المحصلة، يمكن القول إن توظيف اللغة العربية الفصحى في المسرح ليس مجرد اختيار لغوي، بل هو رهان ثقافي وهوياتي عميق، يرتبط بالسؤال عن دور المسرح في بناء الوعي، والحفاظ على التراث، وخلق خطاب عربي موحّد في ظل التعدد. وهو رهان يحتاج إلى وعي جمالي وتربوي عالٍ، وإلى مقاربات فنية مرنة، تسمح بإعادة دمج الفصحى في الحياة المسرحية، لا بوصفها لغة ماضٍ، بل باعتبارها طاقة رمزية مستقبلية.

نتائج البحث:

1. **تعزيز الوعي اللغوي:** أثبت المسرح فعاليته في زيادة وعي الجمهور باللغة العربية الفصحى، من خلال تقديمها في سياقات حية تتيح التفاعل والفهم المباشر.
2. **الحفاظ على اللغة العربية:** يعمل المسرح كوسيلة حيوية للحفاظ على اللغة العربية الفصحى من التراجع، من خلال إحيائها في حياة الناس، وخاصة الأجيال الناشئة.
3. **تطوير مهارات اللغة:** يساهم المسرح في تحسين مهارات اللغة المختلفة لدى المتلقين، مثل النطق الصحيح، التفاعل اللفظي، وفهم المعاني، مما ينعكس إيجابًا على التواصل اليومي.
4. **ربط اللغة بالواقع الاجتماعي:** ينجح المسرح في تقديم قضايا اجتماعية واقعية بلغة فصحى، مما يجعل اللغة أكثر قربًا من الجمهور ويزيد من قبولها وانتشارها.
5. **تعزيز الهوية الثقافية:** المسرح يعزز الانتماء والهوية العربية عبر التأكيد على القيم الثقافية المشتركة التي تتجسد في اللغة العربية الفصحى.
6. **ضرورة دمج المسرح في التعليم:** تظهر النتائج أهمية إدخال المسرح في المناهج التعليمية كأداة تعليمية فعالة لتعزيز اللغة والثقافة.

خاتمة:

يمثل العمل المسرحي أحد أهم الفنون الأدبية التي تلعب دورًا مركزيًا في تنمية الوعي اللغوي وتعزيز مكانة اللغة العربية في المجتمع. فالمسرح لا يقتصر على كونه وسيلة للترفيه أو عرض القصص فحسب، بل هو فضاء تواصلي متكامل يجمع بين اللغة والفكر والثقافة، ويُعد منصة حيوية لإحياء اللغة العربية الفصحى وجعلها أكثر حضورًا وتأثيرًا في الحياة اليومية.

لقد أظهر المسرح قدرته على جذب فئات عمرية واجتماعية متنوعة، مما يساعد في نشر اللغة العربية الفصحى بأسلوب حي وواقعي بعيدًا عن الجمود، ويحفز المتلقي على التفاعل معها بشكل مباشر، مما يسهم في تعزيز مهاراته اللغوية كالاستماع والتحدث والقراءة. كما يُمكن للمسرح أن يعكس قضايا المجتمع ومشكلاته بلغة سليمة ومقنعة، وهو ما يُكسب اللغة طابعًا حيويًا مرتبطًا بالواقع، في مقابل محاولات الابتعاد عن الفصحى أو التراجع في استخدامها.

علاوة على ذلك، يساهم المسرح في بناء وعي لغوي وثقافي يرسخ الهوية العربية ويقوي الانتماء الوطني، عبر التأكيد على القيم المشتركة والتاريخ المشترك الذي تحمله اللغة العربية. وهذا يجعل المسرح أداة تربوية وثقافية لا غنى عنها في مواجهة التحديات التي تتعرض لها اللغة العربية من خلال انتشار اللهجات العامية وتأثير اللغات الأجنبية.

ولذلك، من الضروري العمل على دمج العمل المسرحي في البرامج التعليمية والتربوية والثقافية، وتطوير نصوص مسرحية تراعي التنوع اللغوي والاجتماعي، مع الحفاظ على جماليات اللغة الفصحى ومقوماتها، لتحقيق توازن بين الجمالية والواقعية، وبما يسهم في نقل رسالة اللغة العربية بفعالية وبأسلوب جذاب يتناسب مع متطلبات العصر.

الهوامش